لطيفة القرب

في

دقائق الحب

الفقير إلى الرب القدير / شريف محمد عبد المنعم المصري

تمهيد

اعلم أيها المحب أن المحبة التي أبحرت فيها قلوب المحبين الصادقين مرساهم على أحد المظهرين مظهر جمال و مظهر جلال فما لاح من رحموت الجمال فاح عَرفَه على قلوب الرجال و ما كان من رهبوت الجلال ذابت له قلوب الجبال ((وَتَرَى ٱلجِبَالَ تَحسَبُهَا جَامِدَة وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ)) فأهل الجمال البسط حالهم وأهل الجلال القبض حال لهم و لتعلم أن شمس الجلال بين جمالين كما أن قمر الجمال بين جلالين ولما كان الجمال محبوبا لذاته وقد أثبت الله الجمال لذاته سبحانه وتعالى و أثبت حبه للجمال قائلا على لسان الحضرة النبويه (إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ) وحيث أنه لا جمال أجمل من جمال الجميل فهو محب لذاته بذاته مستغني بصفاته و اسمائه .

فلما كان من صفاته تبارك وتعالى الحب فقد سبقك بحبه ومنحك الطريق إليه فقال وهو الحق ((يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ)) ولتحقيق هذا الحب من جهتك أيها المحب عليك بإبداء الكسب ((قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى)) و علم أن الأمر ما هو إلا محض الوهب ((يُحبِبكُمُ ٱللَّهُ)) فيخلق شواهد المحبه فيك فتصدق محبتك و يُزال الران عن قلبك الذي اكسبك إياه الإنشغال ((فَقَالَ إِنِّيَ أَحبَبتُ حُبَّ ٱلخَيرِ عَن ذِكرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَت بِٱلحِجَابِ)) فقد استأثر بهذا الحب له سبحانه حيث خاطبتنا الحضره العليه بلسان الحضرة النبويه قائلا " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما " فكان من لازم المحبه اصطلام القلب حتى يحرق كل شاغل فيضحي قلبك شاغر يتلقى حب المحبوب فالحب اسم معلوم ورسم مجهول من حيث ذاته متصور بظهوره على الأعيان فيوجد فيهم مظاهره وإن كان هو غير ظاهر فهو معنى لايحد و لا يعد فهو الخفي الجلي ولعلي أقول أن المحب هي ميل النفس الى الشيء تحسب كمال فيه يعود عليها بنشوة أنس فتوقد نار القلب حتى يحمى فيخرج كل شاغل سوى ما تروم هي بذا الحب واعلم ان الحب مقام تعتريه أحوال تصاحب السالك يتقلب فيها فتارة يعلو وتارة تعلو عليه لذا كان القلب هو قالبها و معينها و ما وجد مقام فوق مقام العبودية

دقائق الحب

1. **القيام به**

وهو متعلق بجهتين جهة الحب و جهة المحبوب فما كان منه في حق المحبوب فهو قيام المحب بأمر المحبوب ((وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخشَونَ رَبَّهُم وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلحِسَابِ)) وعدم إستدبار جهته ((وَلِلَّهِ ٱلمَشرِقُ وَٱلمَغرِبُ فَأَينَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيم)) فلا يطرف القلب في حضرته ((وَنُقَلِّبُ أَفـِٔدَتَهُم وَأَبصَٰرَهُم كَمَا لَم يُؤمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّة)) حتى لا تمر مارة دون النظر إلية فهو غاية المحب و مقصوده لذا وجب عليك أيها المحب أن تستقبل محبوبك بكليتك في سكنتك و حركتك ((وَمَن أَظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعرَضَ عَنهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَت يَدَاهُ)) فلا تكن من أهل الإرادات فما انت إلا كآلة من الآلات فلا تبدي مشيئة مع مشيئته ((وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلعَٰلَمِينَ)) فتكون لسان حال يترجم محبته فان كان منك ذلك فقد قمت بحق المحبوب ((وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدرِهِۦٓ)) وأما ما كان في حق الحب فهو صونه عن الأغيار ((وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبّا لِّلَّهِ)) وكتمه عن ذوي الإعذار ((وَحِفظا مِّن كُلِّ شَيطَٰن مَّارِد)) فإن غلبتك الأقدار فلا تكن من أهل الأكدار ولا تقم لسيف الحب بالإستنفار ((فَٱصبِر لِحُكمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلحُوتِ إِذ نَادَىٰ وَهُوَ مَكظُوم)) وإنما سلم ((إِلَّا مَن أَتَى ٱللَّهَ بِقَلب سَلِيم)) لتسلم من الأعذار ((مَّن خَشِيَ ٱلرَّحمَٰنَ بِٱلغَيبِ وَجَآءَ بِقَلب مُّنِيبٍ))

وأقول وأنا الفقير إلى جناب ربي القدير :

فمن هوى فقد هوى *** وما ذا الهوى إلا هوانا

فمن خلا هواه لهوانا *** ما ذل ولا هوى ولا هانا

واسمع لما قاله سلطان العاشقين رضي الله عنه

جَرَى حُبُّها مجْرَى دمي في مَفاصلي *** فأصبَحَ لي عن كلّ شُغلٍ بها شغلُ

فنافِس ببَذلِ النَّفسِ فيها أخا الهوَى *** فإن قبلتها منكَ ياحبَّذا البذلُ

فمَن لم يجُدْ في حُبِّ نُعْمٍ بنفسِه *** ولو جادَ بالدّنيا إليهِ انتهَى البُخلُ

2. الاستعطاف ركام الاستلطاف

فمن نصب سلم الإستعطاف للعروج لا تقم حاجته إلا بشد وثاق الإستعطاف بحبل الإنكسار فإن انكسار القلب وسجوده تحت كرسي المحبوب ((وَسِعَ كُرسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ)) هو سبيل الولوج فالتكن في الساجدين في كل وقت و حين ((وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ)) حتى يبلغك اليقين ((وَٱعبُد رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأتِيَكَ ٱليَقِينُ)) فإن تم ذالك فقد تم لك وارد الإستلطاف ((أَلَا يَعلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلخَبِيرُ)) بفتح باب الإعراف ((فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِم فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيهِم وَأَثَبَهُم فَتحا قَرِيبا)) فالتقدم بحال كسير وقلب أسير يتقلب بين العسر و العسير عُسر حال تحياه حال غاب عنك المحبوب وما حُجب ولكن أنت هو المحجوب وعسير درب تخطوه ترم بنهايته المطلوب ولكن إياك أن يغرقك بحر الأسى بين لعل و عسى

3. زفرات الحب

إن الزفرات علامة التوق و الإشتياق وحرقت القلب مما خلفه نور التجلي على قلب المتجلى عليه بالمحبة ((وَرَبَطنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِم)) فأورثت هذه المحبه استجذابا لانوار الأسماء و الصفات لما كان من سبق النظر من جهة المحبوب للمحب ((يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ)) وهي إما جماليه أو جلالية فما كان من جمال كان له البسط حال ((وَٱللَّهُ يَقبِضُ وَيَبصُطُ وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ)) و القبض ما كان وارد الجلال

والقلب كالعود الفواح كلما أُحرق شذاه فاح ((لَن تَنَالُوا ٱلبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىء فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيم))

وسمع لما قاله سلطان العاشقين رضي الله عنه

فطوفانُ نوحٍ عندَ نَوْحي كأدْمَعي *** وإيقادُ نيرانِ الخليلِ كلوعتي

ولولا زفيري أغرقتني أدمعي ***ولولا دموعي أحرقتني زفرتي

وأقول وأنا الفقير لجناب الرب القدير

إن يُبدى نورها على طور قلبي *** لدُك منها القلب بنور الهيبةِ

4. الإعتاب

فالمحبوب له العتبى و المحب ليس بالعِتب و لا العَتوب وإني لاجد من عظيم الإعتاب مخاطبة المحبوب لحبيبه يدعوه إليه ((أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكۡرِ ٱللَّهِ))

وأقول وأنا الفقير لجناب الرب القدير

فإن يوما يعاتب فله كل العتبى *** وإن يسامح فهو لكلاهما أهل

فالمحب وجب عليه قبول العتاب والمسارعه بالرجوع ((وَعَجِلتُ إِلَيكَ رَبِّ لِتَرضَىٰ)) الى ساحة الإعتاب حتى يفتح له الباب ((وَٱدخُلُوا ٱلبَابَ سُجَّدا)) وليعلم أنه في حضيرة المحبوبين الذين هم بالرعاية مشمولين وبالعناية محفوظين ما كان من جملة المستعتبين

5. التوق و الشوق

فالتوق و الشوق لمن كان في حجاب عن المحبوب لم يعطى وشاح القرب و المكاشفه فأهل التوق و الشوق لازالوا محجوبين وإن كانوا محبوبين

فاهل الشوق إلى غائب يحنون وإن كانوا هم الغائبون ((إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ))

وأهل التوق بأنفسهم يتنازعون فهؤلاء بها محجوبون فلم يكونوا كمن ((يَشۡرِى نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ)) فلا نفس و لا نفيس وهاك حال مجنون العامرية حين سؤل من أنت قال : ليلى فسؤل ومن ليلى قال : ليلى

6. الغرام

فمن أرغمه دين الحب لم يكن يلازمه الصدق وذلك لأن الغرام ملازم السقام و الكمد و الإصطلام وهي صفة الحب لا صفة المحبوب فغاب بلازم الصفه عن الموصوف فأصبح أثر لازم الصفة عليه ظاهر و حكمه عليه قاهر ولكن صاحب المحبه لا يثقله دين و لا يلوح بمين

وأقول وأنا الفقير لجناب الرب القدير

فعالج فالج الغرام بالإرغام *** وطرح نفسك حتى الإستسلام

7. الوله

فعلم أنك أيها الواله بولهك تشرف على العطب فلا تجعل شغف الحب ينسيك المحبوب كمن كانت ((تُرَ وِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ)) فأنستها ولهة الحب محبوبها ((قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا)) واخذت تنظر الى حظ نفسها فما كان منها إلا انها كانت في ضلال الشغف ((إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ))

فاعلم أن من وَلِهَ تملكه الحزن ومن كان للحزن رِكاب فارق الأحباب ((قَالَ إِنِّى لَيَحزُنُنِىٓ أَن تَذهَبُوا بِهِۦ))

وأقول وأنا الفقير لجناب الرب القدير

يا من جماله باهر و جلاله قاهر

فإن تجلى جلى لكَ دون شاهر

وإن جماله بدا جمَّ لهُ الساهر

8. نشوة الحب

فإن قال القائل أنه ليس في حب الغير من خير فذا من جهة التعلق بالأغيار وذل الإنكسار وإن كان جابر ذا الكسر نشوة النفس بما تحَصله من لذة الهوى يخال بها المحب أنه قد صادق المحبوب وهو في حقيقة أمره معطوب لم يعد قدر نفسه من حيث إرضائها برشف زلال الحب لاشباع شهوتها و محو شقوتها ولكن إن كان ذا في حق الأغيار فلا يستقيم ذلك مع الجبار وذلك لآن نشوة الحب تعني تعلق النفس بأمر هذا الحب لا المحبوب و المحب الصادق من ينتشي بالمحبوب لا بالحب ((إِنَّكُم ظَلَمتُم أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلعِجلَ فَتُوبُوٓا إِلَىٰ بَارِئِكُم فَٱقتُلُوٓا أَنفُسَكُم ذَ الِكُم خَير لَّكُم عِندَ بَارِئِكُم فَتَابَ عَلَيكُم إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ))

وسمع لما قاله سلطان العاشقين رضي الله عنه

ولو خطرت لي في سواك إرادة *** على خاطري سهوا حكمت بردتي

9. الحب عزٌ و ذلٌ

فمن كان سهم حبه من قوس الخلق فقد هان وذُل و من كان سهم حبه من قوس الحق فقد كَرُمَ و عز فكم من ذي سلطان زائف أذلته لوعة حب الجواري و القيان فكان ذلك قهر الحب للمحب لا قهر المحبوب له

واعلم أن أمر المحب للرحمن في عزة وانفة ((وَلِلَّهِ ٱلعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلمُؤمِنِينَ)) لما أولته له معية الديان ((إِنَّ ٱلعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)) فكلما ذل المحب في حب المحبوب كان ذا عين العزة وذللت له شجرة القرب ((وَدَانِيَةً عَلَيهِم ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَت قُطُوفُهَا تَذلِيلا)) يقطف من ثمارها كيف يشاء ((وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلعَٰلَمِينَ))

10. وصلٌ لا هجرٌ

وأقول وأنا الفقير لجناب الرب القدير

وليلتي إن هجرت ***كليلتي إن وصلت

فما الهجر أضناني *** ولا الوصل أرواني

إن المحب دائر بين دائرتي الوصل و الهجر ولكن فتعلم أن ذا حال من ركن بحبه إلى مخلوق فأصبح كالعبد المبعض لا هو مملوك بالكليه و لا هو معتوق بالكليه

ولكن المحبوب عندنا لا يعرف الهجر فالهجر قائم بالمحب لا بالمحبوب

وأقول وأنا الفقير لجناب الرب القدير

ياصاحب الوصل منك الحبل ممدود *** فإن تهجر فمالك أن تعود

فما ولج والج فخالف ذي العهود **** إلا كان عهده حقا مفقود

وهو فيه على دربين إما أن يكون هَاجرا للمحبوب وهنا فهو معطوب مسلوب أو مهاجرا للمحبوب فهو غالب لنفسه مجذوب بالحب مغلوب راغبا فيه و مرغوب فقد بُدِءِ بالخطاب لذا لذ العيش وطاب مسيغ له الشراب حيث خوطب من علي الجناب بقوله تبارك وتعالى للأحباب ((يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُۥٓ)) فسبقت لهم المحبه لذا تسموا أحبه فلا هجرٌ منه ولا هِجران ففهم ترشد ((إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلبٌ أَو أَلقَى ٱلسَّمعَ وَهُوَ شَهِيد))

11. ***لذة شراب الحب***

ففي حانة حبهم سر شرابهم و شرابهم سر سكرهم و سكرهم سر فنائهم و فنائهم سر بقائهم وسمع لما قاله سلطان العاشقين رضي الله عنه

ففي حانِ سكري حانَ شُكري لفتية *** بهِمْ تمَّ لي كتمُ الهوى مع شهرتي

والشارب لرحيق السكر على أحد الأمرين إما صدي أو روي فإن كان من أهل القيد و التقيد كان للإرتواء مريد وهو ليس له ببالغ لأن حقيقة المحبه من حقيقة المحبوب فإن كان المحبوب لا تدركه المنالات فإن الإرتواء من حبه كذا لا تبلغ فيه الكأس و إن سكر المحب و غاب

وأما أهل الإطلاق و السعه فما بَلَّت الكأس صداهم وما فارقت شفاههم لذا فسمع لذا الخطاب ((لِيُنفِق ذُو سَعَة مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيهِ رِزقُهُۥ فَليُنفِق مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا)) ولما عز في حق محبوبنا صورة القرب من جهة المحب وإلا فالمحبوب قريب لا يفارق المحب فعجزك أيها المحب عن إدراك المحبوب هو معين الحب الذي تُسقى منه خالص الشراب ((عَينا يَشرَبُ بِهَا ٱلمُقَرَّبُونَ)) وهنا يتجلى معنا عظيم وهو الرضا بقضاء الله وإن عز المقضي به

وسمع لما قاله سلطان العاشقين رضي الله عنه

*و ما ردّ وجهي عن سبيلك هول ما *** لقيت و لا ضرّاء في ذاك مسّت*

12. القلب كأس المحبه

((مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ)) واعلم أن مثل الشيء صفته فهذا قلب المحب الصادق يتإد بالنور حتى ضَلَعَ من أنوار التجلي ((يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ)) وهذا الكأس وهو القلب يتقلب بلون شراب الحب الذي وضع فيه ((نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ))

فإن صدق القلب للمحبه ارتسمت فيه انوار صفات المحبوب لصدق الطالب و عظم المطلوب فلا يكون ذلك بمحض الكسب إنما هي منة الوهب ((صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ))
فالمصبوغين من تركوا الإرادات وسكنوا عن الحركات فلا مظهر لهم حيث لا إرادة للعبد في حضرة سيده ((وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ))

وسمع لما قاله سلطان العاشقين رضي الله عنه

وعن مذهَبي في الحُبّ ماليَ مذهَبٌ *** وإنْ مِلْتُ يوماً عنهُ فارَقتُ ملّتي

13. سطوة الحب

فسلطان الحب دائر بين البوح والكتمان فمن كان البوح مقاله فقد ظهر عليه سلطان الحب ومن كان الكتمان حاله فقد أظهر على سطوة الحب واعلم أنه لا يستوى من كان قاتلا ومن هو مقتولا ((لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ))

وأقول وأنا الفقير لجناب الرب القدير

أيا مجنون العامرية قتلكَ هواك

يوم أن بحت بحبها الذي اعتراك

أما أنا فكتمتُ واردهُ بالإمساك

حتى قتلتُ في حيها دون عِراك

فوالله ما أدري أيُّنا كان لها دَرَك

فمن بالحب باحوا وعن الخلق ما كتموه وساحوا لم تكمل فيهم قدم التمكين وما بلغوا رتبة العارفين فهم عاشقون عن الكمال محجوبون أما أهل العرفان فقد أُشغلوا عن العشق بالرحمن

ولعلي اذكر هنا لطيفه لذوي النفوس الشريفه لما في مبنى الحب من معنى فالحب حرفان "ح" و "ب" فإن نظرت إلى مرسوم المبنى و جئت بمعكوسه كان "بح" وإن نظرت إلى منطوق المعنى كان "حا" و "با" وبمعكوس المعنى يصبح "اباح" ومن للسر اباح كان دمه مباح

14. الحب أم المحبوب

إن شغلك الحب فقد شغلك عن المحبوب وهنا أنت لازلت محجوب بما دعت إليه نفسك فأجبتها دون إبداء النظر من حيث لم تعلم أن ذا من عظيم الخطر فتسلق مباني الأقوال لتعلم معاني الكمال حيث قال سيد الرجال "ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ وجدَ بِهِنَّ طعمَ الإيمانِ ، مَن كانَ اللَّهُ ورسولُهُ أحبَّ إليهِ مِمَّا سواهُما ، وأن يُحبَّ المرءَ لا يحبُّهُ إلَّا للَّهِ " فجعل كون التعلق بالله لا بالحب ذاته فأنت تفنى به سبحانه عن كل السوى فلا تبقى حتى يكون "هو هو " ولا يكون حالك كمجنون العامرية حين أتت محبوبته لتضمه إليها فقال لها : إليكِ عني قد شغلني حبك عنكِ فستمسكَ بالمظهر لا بالمظهر ((يَعلَمُونَ ظَٰهِرا مِّنَ ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَهُم عَنِ ٱلـَٔاخِرَةِ هُم غَٰفِلُونَ))

وأقول وأنا الفقير لجناب الرب القدير

وما أشغلني الحب عنك *** وما ذبح الوقت بالصبابة

وحاجحت مجنون العامرية *** أن الحب لذات المحبوبة

وأقام حجته أن يا هذا *** قد أنبرى القلب للمحبة

فقلت أيا مجنون المحبة *** قد غبت بها عن العامرية

15. التخلق و التحقق

و مما كان من لازم الحب و طارئه على قلب المحب أن يتخلق بأوصاف محبوبه وهو السعي وراء الوصول لكسب أنوار الصفات فيسعى المحب لأن يحدث بقلبه مظاهر هذه الصفات ولكن كان لزاما عليك أيها المحب أن لا تُغفل أن ذلك الكسب ممده و مستمده محض الوهب ((وَأَنَّ ٱلفَضلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلفَضلِ ٱلعَظِيمِ)) والناظر لمعنى التخلق يجد فيه الملازمه و التجدد و التكلف و المطاوعة حتى يتعين له التخلق فإن أصبح الأمر سجية و منابعة لا كلفة و مطاوعة اصبح المحب من أهل التحقق الذين تحققوا بأنوار صفات محبوبهم ((وَأَشرَقَتِ ٱلأَرضُ بِنُورِ رَبِّهَا)) ولا يكون ذا إلا لمن كان حال العرفان غالبه ((فَٱعلَم أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱستَغفِر لِذَنبِكَ)) و الحب قالبه ((وَأَلقَيتُ عَلَيكَ مَحَبَّة مِّنِّى)) وذا هو ثمرة التخلق ((وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا ٱلَّتِى هِىَ أَحسَنُ))

وإن أعظم ما تخلق به المحب مغايرا فيه لصفة المحبوب هو تخلقه بالعبودية ((ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُم لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىء فَٱعبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىء وَكِيل))

وأقول وأنا الفقير لجناب الرب القدير

ولما دعوتني أن يا عبديا ***كان ذا أشرف أسمائي

16. سـريان الحب بالاكـوان

إن المحبة إن كانت من المحب ملازمة له هو بل إنها قد لاتصل محبوبه الذي يزعم ولكن الأمر إن كان من جهة المحبوب علام الغيوب فإن المحبة منه تسري في الأكوان تخالط الملك و الملكوت أنظر لما جاء به الخبر

" إذا أحب الله العبد " – وقف جيدا مع كلمة عبدا و تأملها – "نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحببْه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض " وفي رواية الترمذي " ثم تُنزَّلَ له المِحَبّة في أهل الأرض"

لذا كان حاصل المحبة من المحبوب هو سريان أنوار تلك المحبة في أعيان الموجودات وذلك لا يكون إلا ((لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلبٌ أَو أَلقَى ٱلسَّمعَ وَهُوَ شَهِيد)) ولما كان من لازم الحب أن يسعى المحب إلى حبيبه بالتودد و التلطف كان حال المحب أن يطلب ود حبيبه ويستلطفه وكان حال المحبوب أن يتلطف بالمحب و يجعل له ودا ((قُل كُلّ يَعمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُم أَعلَمُ بِمَن هُوَ أَهدَىٰ سَبِيلا))

قال صاحب البرءه رضي الله عنه

نعم سرى طيف من أهوى فأرقّني

والحب يعـترض اللذات بالألـم

لولا الهوى لم تُرق دمعا على طلل

ولا أرقـت لذكر البـان والعلم

17. ومضات وتأملات

الومضة الأولى :-

لما كان حنين الفرع إلى الأصل و جذب الأصل للفرع من السنن الكونية فإن الطبيعة الإنسانية التي هي فطرة أوجبت عليه ذلك لذا كان حنين الجزء إلى الكل والضلع إلى الصدر فخلق حنين المرأة إلى أصلها و ابتدر الرجل جذب حبل وصالها لما لاح حبل الوصل والصله و أخبر به المصطفى حبل الصله ((حُبِّبَ إلي منَ الدُّنيا" - وفي رواية - " من دُنْياكمُ " النساءُ والطِّيبُ وجُعِلَ قرةُ عيني في الصلاةِ)) ولتقف هنا مع كلمتين " حُبِّبَ " و " دُنْياكمُ " فأشار بكلمة "حبب" أن الأمر ليس من عند نفسه وإنما هو من عند ربه فهو غرس من الله غرسه في قلبه وهذا هو نصيبه من الدنيا ((وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنيَا وَأَحسِن كَمَآ أَحسَنَ ٱللَّهُ إِلَيكَ)) الزوجات الصالحات ((ٱلنَّبِيُّ أَولَىٰ بِٱلمؤمِنِينَ مِن أَنفُسِهِم وَأَزوَ اجُهُ أُمَّهَتُهُم)) فقد أحبهم لِما جعله الله من حبهم في قلبه فهو لله فقد قال الصادق المعصوم " من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان" و أخبر أيضا صلى الله عليه وسلم قائلا " وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله" .

وأما قوله صل الله عليه وسلم " دُنْياكمُ " وذا لأن قلبه معلق برب الناس لا بدنيا الناس حاشاه فقد أدبه ربه و أحسن مثواه ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم)) فقد أُشغل و انشغل بربه و كل أمر يسلك به إلى ربه فعقب قائلا في نهاية قوله "وجُعِلَ قرةُ عيني في الصلاةِ"

الومضة الثانية :-

((قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ))

((فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ)) فقد تجلى هنا الحق بالصوره التي قد تصورة خيال كليم الله لذا قال ((تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ)) ولم يقل تجلى "الله" او "رب العالمين" وإنما قال "ربه" ليلفت النظر لتلك الصوره المصوره في عالم الخيال وهو أنه ((ليس كمثله شيء)) فلما كان ليس كمثله شيء ولا يدركه شيء كان التجلي من المتجلي على المتجلى عليه بالعدم وذا لعدم إمكانيه إدراك تلك الصوره فمابلك بالمصور تعالى عن كل شبيه ومِثل و مثال و مَثل لذا أصبح المتجلى عليه في حكم المعدوم ((جَعَلَهُۥ دَكّٗا)) و المشاهد لمشهد التجلي صعقا ((وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا)) و الشاهد هنا أنه لولا سبق المحبه التي ألقاها الله على كليمه ((وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ)) لكان في حكم العدم لذا قال ((سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ))

إيمانا لايخالطه شك بأن ما كان في عالم الخيال لا يكن في عالم المثال لانه لا شبيه و مثل و لا مَثل و لا مثال .

الومضة الثالثه :-

((إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ)) ولما كان حب الله للتوابين قد أردفه بحبه للمتطهرين لاح من ذلك معنى الطهاره لما أخبر به أيضا سيد المرسلين "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ" وجعل لهذا الطهور الماء صورة و آله فأحيا به قلوب المحبين و شق به حجر الشك ((وَإِنَّ مِنهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخرُجُ مِنهُ ٱلمَآءُ)) ليثبت اليقين فعلم أن الماء سر حياة العارفين ((وَجَعَلنَا مِنَ ٱلمَآءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤمِنُونَ)) فغتسل و اشرب مما أنزل عليك من سماء المعرفه لتمحو به الأكدار و تصفو الاقدار ((وَيُنَزِّلُ عَلَيكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ)) ولكن لتعلم أن هذا الغسل واجب فيه الستر و التستر "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ" .

فإن لم تجد لماء السماء منزلا فضرب حجر القلب بعصاة القرب حتى تعلم مشربك ((أَنِ ٱضرِب بِّعَصَاكَ ٱلحَجَرَ فَٱنبَجَسَت مِنهُ ٱثنَتَا عَشرَةَ عَينا قَد عَلِمَ كُلُّ أُنَاس مَّشرَبَهُم)) ولما كان منه من سبق الرحمه وفيض الحكمه أنه علم أن هذا الماء قيد الفقد أحالنا إلى التيمم ((فَلَم تَجِدُوا مَآء فَتَيَمَّمُوا صَعِيدا طَيِّبا))

فسبحان من وسعت رحمته كل شيء ((وَرَحمَتِي وَسِعَت كُلَّ شَيء فَسَأَكتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ)) فقد يسر لنا الأمر و افاض علينا من سحائب الفضل حيث اخبرنا على لسان حبيبه " وجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا"